الحركة الشعبية في البلدان الإسلامية

المكان: طهران

الزمان: 1389/12/2ش. 1432/3/17ق. 2011/02/21م.

المناسبة: 17 ربيع الأول ذكرى ميلاد الرسول الأكرم (ص) والإمام الصادق(ع)

الحضور: جمع من المسؤولين

بسم الله الرحمن الرحيم

أبارك الميلاد السعيد للرسول الأعظم سيدنا محمد بن عبد الله(ص)، وكذلك الولادة السعيدة لحفيد ذلك الإنسان الكريم سيدنا جعفر بن محمد الصادق (عليه الصلاة والسلام)، أباركهما لكم أيها الحضور الأعزاء، والضيوف الكرام في هذا الاجتماع، وكذلك لكل أبناء الشعب الإيراني الكبير، ولكل الأمة الإسلامية، ولجميع طلاب الحق والحرية في العالم.

ولادة النبي الأكرم (ص) كانت بداية فجر زاهر في حياة البشرية. بهذه الولادة ظهرت البشائر الإلهية في ذلك العصر أمام أنظار الناس، حيث تساقطت قمم قصور الملوك الظلمة، وانطفأت النيران في معابد النار، وزالت المقدسات الخرافية التافهة بالقدرة الإلهية في مناطق مختلفة من العالم. كانت هذه الولادة مقدمة للبعثة، وكانت البعثة رحمة لكل العالمين. وقد قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»(1). انتفع العالم برمّته من بركات هذا الوجود المقدس وسيبقى ينتفع. رقي البشر والتقدم العلمي والمعارف المتنوعة والاكتشافات العظيمة في العالم ببركة ظهور نور الإسلام في تلك البرهة العجيبة من التاريخ. وهذه نعمة وضعت تحت تصرف البشرية. ولو كان للبشرية وعي أكبر وأكثر ومعرفة أعمق، ولو عرفت الرسول الأكرم والإسلام وأدركت رسالته لكانت صفحة التاريخ البشري اليوم صفحة أخرى. جهلنا نحن البشر وقصر نظرنا جعلنا نتأخر. لا شك أنه كلما تقدم التاريخ إلى الأمام، وكلما ازدادت معرفة البشرية واستيعابها لمزيد من الفهم كلما

تجلت هذه الشمس المتلألئة أكثر، وازداد الانتفاع من هذا النور الحيايّ. ونحن اليوم نرى علامات ذلك.

العالم اليوم طفح به الكيل تحت الأعباء الثقيلة لما تفرضه عليه الحضارة المادية، وهو يبحث عن سبيل نجاة. ما تلاحظونه اليوم من صحوة إسلامية في بعض البلدان الإسلامية مثل مصر وتونس مؤشر ونموذج على نفاد صبر البشرية. حينما يتغلب الشياطين على حياة الناس – وشياطين الأنس أخطر من شياطين الجن – مستكبرو العالم الذين يتدخلون في حياة الناس الاجتماعية، وحياتهم الخصوصية، وفي اقتصادهم، وفي فهمهم ورؤاهم، ويجرونهم إلى طرق الضلال، تتعكر أجواء الحياة، وهذه الأجواء الثقيلة المظلمة لا تنسجم مع فطرة البشر فتصحو الفطرة البشرية بالتالي. هذا ما يحدث اليوم في العالم. والعالم الغربي الأسير لعجلات وهيمنة القوى المادية طفح به الكيل حالياً. نحن المسلمون لو كان بوسعنا تعريف الإسلام بصورة صحيحة ومطابقة سلوكنا مع الإسلام، ثقوا أن العالم سيميل ميلاً عاماً شاملاً نحو الإسلام. الضعف فينا ونحن أول من خاطبهم القرآن ورسالة الرسول، فيجب علينا إصلاح أنفسنا.

لقد استيقظت الشعوب اليوم ببركة الإسلام. يمكن للمرء أن يشاهد هذه الصحوة على مستوى العالم الإسلامي. الأثر الأول لهذه الصحوة هو إبداء الانزعاج من تواجد المستكبرين في هذه المنطقة. الأمريكان والسياسات الأمريكية تحاول بإعلامها الكثيف إبعاد نفسها عن مرمى سهام الحركة الشعبية العظيمة المشهودة اليوم في بعض البلدان الإسلامية، لكن هذا غير ممكن. هذه التحركات هي بالدرجة الأولى ضد الهيمنة الاستكبارية في هذه المنطقة. الشيء الذي أهان الشعوب هو هيمنة الاستكبار، والشيء الذي أدى إلى أن لا تمدّ الشعوب المسلمة يد الأخوة لبعضها ولا تتفهم بعضها ولا تتكامل في طاقاتها وقواها فتشكل الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي إنما هو دسائس الاستكبار وتدخلاته في هذه المنطقة. وهذا ما ينبغي إزالته. يجب أن تتحرر الشعوب وتنجو من تدخل الاستكبار وهيمنته. هذا هو مفتاح حل المشكلات في هذه المنطقة. مشكلات الناس والشعوب والحكومات – الحكومات البعيدة عن شعوبها – سببها تواجد القوى المستكبرة وعلى رأسها أمريكا. وعلاج مشكلات هذه المنطقة يكمن في أن تصحو الشعوب وتصحو الحكومات وتبعد الشيطان الأكبر عن التدخل والتصرف في مصيرها.

سياسات أمريكا في منطقة الشرق الأوسط أدت إلى أن تعارض الشعوب حكوماتها، وتبتعد الشعوب عن الحكومات. إذا كانت الشعوب متواكبة مع الحكومات فلن تستطيع أية قوة الهيمنة على البلدان، ولن تستطيع أية قوة المقاومة أمام الشعوب. ما يحدث حالياً في بعض البلدان الإسلامية هو تواجد شعوب المنطقة في ساحة النضال والكفاح. حينما تتواجد الشعوب في سوح النضال والكفاح سوف تكلّ سيوف الأعداء ولن يستطيعوا فرض منطق القوة على الشعوب، وتسليط أفراد من المقربين إليهم ومرتزقتهم على الشعوب فيتعسفون مع الناس. حينما تتواجد الجماهير في الساحة سوف تتقوى ركائز الحكومات ودعائمها إذا كانت هذه الحكومات متواكبة مع شعوبها. هذا هو علاج مشكلات المنطقة.

الدولة الصهيونية المزيفة اليوم كالغدة السرطانية في هذه المنطقة تصيبها بالأمراض والآفات. كل مساعي الاستكبار منصبة على حفظ هذه الغدة السرطانية في المنطقة. وجود هذه الغدة السرطانية في هذه المنطقة مبعث حروب واختلافات وشقاقات وسياسات خاطئة في المنطقة. من أجل أن يحافظوا عليها ويكرسوا موقعهم في المنطقة يستخدمون كل قدراتهم. وهذا هو ما نشاهد اليوم آثاره ونتائجه، ألا وهو ردود أفعال الشعوب. حينما تصحو الشعوب فسوف لن تتحمل هذا الوضع.

نعتقد أن التحركات المشهودة في الوقت الراهن في بعض البلدان الإسلامية ردود أفعال الشعوب حيال المهانة الطويلة التي فرضتها القوى الاستكبارية عليها. وقد وجدت اليوم فرصة فنزلت إلى الساحة.

واجب علماء الدين والنخب السياسية والعلمية والجامعية ثقيل جداً. الجماهير في تلك البلدان بحاجة اليوم لتوجيه النخبة وهدايتهم، سواء النخبة السياسية أو النخبة العلمية أو الجامعية أو الدينية. هناك واجبات جسيمة تقع على عواتقهم. يجب أن لا يسمحوا لأجهزة الاستكبار بما لها من وسائل متنوعة أن تصادر حركة الجماهير العظيمة هذه وتسرقها منهم. يجب أن يحذروا. يجب أن يوجهوا الجماهير نحو الأهداف السامية التي تعدّ الأهداف العليا لكل شعب من الشعوب. إذا حصل هذا فسيكون مستقبل هذه المنطقة مستقبلاً زاهراً، وسيكون مستقبل الأمة الإسلامية مشرقاً.

عددنا في العالم مليار ونصف المليار نسمة، ونعيش في أكثر مناطق العالم حساسية من الناحية العسكرية، ومن حيث المصادر الطبيعية والثروات الجوفية، لكن الآخرين يحكموننا ويقررون مصيرنا، ويتخذون القرارات بشأن نفطنا. الآخرون يتخذون القرار فيما يخص أنظمة الحكم في بلداننا. هذا وضع يجب أن يتغير وسيتغير بلا شك. وتلاحظ علامات ومؤشرات ذلك حالياً. هذه هي الصحوة الإسلامية ببركة الإسلام.

هكذا يربي الإسلام أتباعه: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ»(2). هذه هي علامات الأمة الإسلامية. وهذه هي المعنوية التي في أنفسهم، والتوكل والتوجه إلى الله والتذكر والخضوع مقابل الخالق. هذه هي ميزة تربية الإنسان المسلم المؤمن. الإسلام يربّي مثل هذا الإنسان.. خاضع مقابل الله تعالى، رحيم عطوف مع إخوانه في الإيمان، والأخوة الإسلامية قائمة، لكنه في مقابل المستكبرين والظالمين صامد شامخ كالجبل. «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ»(3). هذه هي مراحل رشد الأمة الإسلامية، تنبت وترشد وتترعرع وتستحكم. «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ»(4). يندهش له حتى الذين يعملون في هذا المجال. إنها يد القدرة الإلهية التي ترشد البشر هكذا. «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ»(5). العدو المستكبر حينما ينظر لهذا الإنسان المسلم المتربّي والمترعرع في أحضان الإسلام سيغضب طبعاً ويترعج. يجب أن نعمل بهذه الطريقة. يجب أن نبني أنفسنا. ونطابق أنفسنا مع القرآن. أخلاقنا وسلوكنا مع أصدقائنا ومع معارضينا ومع معانديا ومع المستكبرين، يجب أن ننظمها مع تعاليم القرآن. لقد وعد الله تعالى الأفراد الذين يتحركون بهذه الطريقة أن يثيبهم ويؤجرهم. وهذا أجر في الدنيا وفي الآخرة. في الدنيا لهم العزة والتمتع بالجماليات والخيرات الإلهية في هذا العالم – المعدّة للإنسان في هذا العالم – ولهم في الآخرة رضوان الله وجنانه.

هذا سبيل سلكتموه أيها الشعب الإيراني العزيز وتتابعونه وتسيرون فيه، وسوف تواصلون هذا السبيل بتوفيق من الله، وهو سبيل نشاهد لحسن الحظ حالياً أن الشعوب الإسلامية هنا وهناك من العالم الإسلامي تتجه نحوه تدريجياً. قال الله تعالى: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»(6). إذا جعلنا التقوى منهج عملنا فلا شك أن العاقبة والنهاية ستكون للأمة الإسلامية، وهذا المستقبل ليس ببعيد بإذن الله.

أتمنى أن يوفق الله تعالى جميع الشعوب المسلمة والأمة الإسلامية وخصوصاً النخبة والمؤثرين في هذه الأمة لأن يستطيعوا الانتفاع من بركات وجود الرسول (ص) وتعاليم القرآن إلى أقصى حد. نسأل الله تعالى أن يتزل رحمته الواسعة على إمامنا الجليل الذي فتح هذا السبيل أمامنا، وعلى شهدائنا الأعزاء الذين ضحوا بأنفسهم في هذا السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

1 – سورة الأنبياء، الآية: .107

2 – سورة الفتح، الآية: .29

3 – نفس الآية.

4 – نفس الآية.

5 – نفس الآية.

6 – سورة الأعراف، الآية: 128.